الصحيفة المثـــالية

لرجل الصحافة « ويكهام استيد »

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامى

حاولت فيما عرضته أن أوحى إلى القارئ بما يجب أن تتوفر الصحافة على خدمته من مثل أعلى ، وأن أدله على ضوئه إلى ما كان من تقصير الصحافة البريطانية فى أمره ونيلها فى نهجه وقصورها عنه ، وبوسعى أن أتخيل صحفياً أثقله عمل لم يؤده إلا بجهد جاهد ودرى بما يرسف فيه من أغلال وما نصب له من أشراك دراية جامعة وهو يحاورني عن علم وخبرة قائلاً : « عافنا من عسير أمرك يا أخى[1] وترسل فيما يجتال بخاطرك من نسج النظر ووهم الخيال ! » فأى نوع من الصحافة يسعك أن تبدعه إذا هيأوا لك الفرصة ، وأطلقوا فى الأمر يدك ؟

هبك كنت « توماسن » بصحيفته (التربين) ، أو « الفردهارموث » بصحيفته الناضجة (الديلى ميل) ، أو « ليفى لوسن » بصحيفته (الديلى تلغراف) ، وقل لى لعمرك ماذا عساك صانعه — وأنت مقيد بقيود الصحافة الحاضرة — لتظفر بالحرية وطيب الحياة لصحافة أمست وهي تخضع خضوعاً كبيراً للاعتبارات التجارية ؟ ؟

أغلب ظنى أنه حوار حكيم وسؤال عادل ، وقد يتأتى لى أن أجيبه إجابة نظرية عما سأل بقدر ما يشق على أن أقارعه الحجة بالحجة من الوجهة العملية الناجحة وأضعها نصب عينيه حقيقة واقعة ؛ فهـذا شأن آخر له قدره وأثره ، وليس يتوفر لجميع الصحفيين من البراعة وبسطة الكف ما يسعهم معه إنشاء صحيفة ؛ فقد كان « و . ت استيد » مثلاً صحفيا عبقريا ورئيس تحرير نابغا وهو إلى عبقريته ونبوغه قد أخفق إخفاقا محزنا فى إخراج صحيفة يومية ، وإني على العموم لست قانعا بأنى أملك لنفسى من الكفاية والأداة ما يسعنى معه أن أطالع الناس بصحيفة يكتب لها النجاح من الوجهة التجارية ؛ كما وسع « جون » و « ولتر الثانى » صاحب (التيمس) ، وليفى لوشن صاحب (التلغراف) ، ويوسف بوليتزر صاحب (النيويورك ورلد) ، وأدولف أخ صاحب (النيويورك تيمس) ، والفرد هارمسورث صاحب (الديلى ميل) ؛ فى مذاهبهم الخاصة وطرقهم المختلفة ، أو كما وسع « لورد بيفربروك » صاحب (الديلى اكسبرس) ، ولورد كامروز صاحب (الديلى تلغراف) ، « السندى تيمس » من أصحاب الصحف الحاضرة . فجميع هؤلاء الرجال قد حققوا آمالهم وظفروا من « الصحافة » بمآربهم باعتبارها من المؤسسات الاستغلالية ؛ ولقد كان فريق منهم — وما زال بعضهم — من الصحفيين الأفذاذ

إلا أنه سواء لدى أكانت الصحافة استغلالاً خصيباً أم كانت مستراداً جديبا ما دمت لا أومن إيماناً تاما بأن ما يرجى للصحف من نجاح تجارى هو أفضل مقياس للصحافة الممتازة الطيبة . فصحيفة « ألوست مانشستر جازت » مثلاً ما تهيأ لها قط أن تعيش من غير أن تقترض ، ومع ذلك فأى صحافى يسعه أن يقول إنها لم تكن صحيفة فذة جديرة بالإعجاب . وما كانت صحيفة « المانشستر جازت » لتصبح يوما ما فى ذاتها وبذاتها معقد رجاء أصحابها فى أن تغدو منجماً ذهبيا وتثميراً رابحا ولكنى إلى ذلك لا أرى لها من تفوقها الممتاز نظيراً فى أى قطر كان

إن ما أنشده من مثل أعلى للصحافة لينطوى فى تقصى واستيعاب نوع الصحيفة التى سيكون بوسعها أن توفق بين رسالتها المعنوية وما تترقبه من ثروة مادية من غير أن تضحى فى هذا النهج الدقيق بشىء من النزاهة الصحفية والخلق القويم

وما إن يحفل خاطرى بالآمال الحسان شأن غالبية الصحفيين حتى يتملكنى العجب أحيانا ، وأسائل نفسى : أى نوع من الصحافة يحمل بى أن أخرجه للناس إذا ما اجتمع لى من الجنيهات مثلاً مليون أو يزيد ، وأطلق لى التصرف فيه . فكان بوسعى إما أن أبدعها صحيفة جديدة لنفسى ، أو تطلق يدى فى صحيفة من

---

(١) ترسل : تمهل ؛ والترسيل : التحقيق بلا عجلة

الصحف الحاضرة لأغير أسلوبها وأقوم نهجها وأجعل طابعها وفق ما أريد ؟؟ وهل يتيسر لصحيفة تثقلها تلك القيود التي يخضع لها الآن : « الإنتاج الصحفي » أن تحرر من أغلالها وترتفع فوق مستوى ما يقيدها أو ترجعه إلى الوضع الذي يسمها معه أن تسترد حرية الصحافة وتصونها ؟

الجواب عندي أن هذا الوضع هو ما يجب أن يكون ، ولو أني لا أنكر أن الرجل الذي يتهيأ له أن ينهض بهذا العمل قد يكون بحاجة إلى كفاية أسمى شأنا ومقدرة أبعد أفقا مما يسعني أن أظفر به أو أطمع فيه ، وقد تعمل ضرورة الساعة على بعث هذا الرجل وقد لا تعمل . ففي الحرب العظمى كانت هنالك حاجة ملحة للبحث بين جيوش الحلفاء عن قائد حربي ذي رأي عبقري وكفاية فذة ليتولى أمر القيادة العامة ، وهبهم لم يعثروا بهذا الرجل أفكان ذلك أو لم يكن لأن الحالة آنئذ بلغت من التعقيد والإعجاز مبلغا لا يسمح بالسيادة لأي رجل كان ؟؟

لقد أتيح لي في أوائل عام ١٩٢١ وقبل الذكرى المئوية لوفاة نابليون بأسابيع قليلة أن أسأل المارشال « فوش » (الذي عرف عن نابليون أكثر مما عرفه أي قائد آخر من قادة الحلفاء) عما إذا كان قد همس بضميره يوماً ما وهو القائد العام لقوات الحلفاء والجيوش المتحدة في أواخر الحرب العظمى الماضية أنه كان بوسع نابليون لو حل محله أن يكون أوفر منه كفاية وأحكم قيادة وأكثر توفيقا أم كانت طبيعة الظروف الحديثة من شأنها أن تجعل من نابليون رجلاً أدنى قدراً وأقل شأنا . وقد أجابني « فوش » أنه كثيراً ما وجه لنفسه هذا السؤال بعينه إبان الحرب العظمى الماضية ووقتما كان يمر بقبر نابليون في « الأنفاليد » . وأن رأيه قد استقر آنئذ على أن ما امتاز به نابليون من البطولة الفذة والقلب الصارم في كفاحه ومن الكفاية الممتازة واليأس الصادق في الاضطلاع بالصعاب ومجالدة الأعداء كان من شأنه أن يمكنه من التسلط على الحرب الحديثة في قرابة البتة أسابيع . قائلاً : « وآنئذ كان يسع نابليون أن يضع لجيوشه خططا وأساليب جديدة ويبدع للحرب فنونا لا عهد لها بها من قبل ثم يعمل ما توفر له من عبقرية ودهاء في أن يضرب أعداءه وقد هالهم الفزع الضربة القاضية .

وأغلب ظني أنه على هذا النهج بعينه يتبع منشئ الصحيفة النابغ أن يسيطر على ما يصادفه من عقبات جسام في طريق إنشاء الصحف الحديثة سيطرة تامة تنعكس معها آية تلك العقبات فإذا هي فرص مواتية وصفقات رابحة . وإذا هو يحدق بأعدائه الناهضين لشاريعه فيهزمهم هزيمة نكراء قبل أن يتنبهوا إليه ومن حيث لا يعلمون . وغالب الأمر من نجاحه أنه رهن كفايته في قراءة ما يجول برءوس أبناء الأجيال الناشئة والإفصاح لهم عما تحفل به رءوسهم من أفكارهم وتوجيههم إلى ما تطمح أنفسهم له وتنصرف آمانيهم إليه لو أنهم اهتدوا إلى سبيله .

ولعهد غير بعيد بعث كاتب برسالة لصحيفة « المانشستر جارديان » رثى فيها لحال أبناء هذا العصر لما يستبد بهم من شعور بحاجتهم إلى مثل أعلى يعيشون له أو يموتون في سبيله إذا دعتهم الحاجة إلى ذلك .. وكان جماع رأيه أن حياتهم بحاجة إلى نصيب من الصفات الروحية والمقدمات المعنوية . ويغلب على ظني أن ما شكاه من أمرهم قد بني على أساس صحيح . فالناس قد اختلط عليهم الأمر وفترت عزائمهم وضلوا السبيل ، وهم — ولا سيما شبابهم — يزجون بأنفسهم في ميادين الخطر[1] ومسارح اللهو حيثما يكون أعظمهم مخاطرة أفضلهم شأنا . وكثير منهم عاملون على الاحتفاظ « بكفايتهم » لركوب هذه الأخطار . ولو أن قليلاً منهم يسعهم أن يجيبوا هذا الناشئ الموفور القوة على ما يسألهم عنه وقد تملكه العجب من احتفاظ الرياضي بكفايته من غير مران يعتصم به قائلاً : « لقد أنفقت جميع أوقاتي في الاحتفاظ بكفايتي . ولكن علام أحتفظ بهذه الكفاية ؟؟ »

لقد أصبح الكثير وهم من « هواة الطيران » الذين لا يتهيبون أن تمزق أوصالهم وتتحطم رؤوسهم . أو ممن يتولون قيادة « سيارات السباق » ليتيفوا بها في سرعة طياشة قاتلة . كما أصبح المتقدمون

(١) الخطر : السبق الذي يتراهن عليه . والاشراف على الهلاك .

فى السن منهم وهم يرقصون تلك الرقصة الشاقة المضنية المسماة برقصة « الجاز » أو يلتمسون الرياضة العقلية فى « حل الألغاز » . أما شأنهم فى الميادين الاجتماعية ونصيبهم منها فيا لهما من شأن موجع ونصيب منقوص . فهم بالأضافة إلى الشئون العامة ليس لهم من عقيدة تصدر عن تفكير رشيد . وهم لا يؤانسون فى التعلق « بالوطنية » بدورها مايشبع جل رغباتهم وإن كانت « الشيوعية » بالقياس إلى غيرها قد أمست وهى تجذب إليها قليلاً منهم . على حين أفل نجم داعى « الاشتراكية » — وهى صورة مخففة وطابع معتدل من الشيوعية — فقعد بريقه وضيع الافتتان به . وما برحت النازية أو الفاشية وهى أقل شأنا من أن تلفت أنظارهم إليها كعلاج ناجع لجميع الأدواء الاجتماعية . وهم إلى ذلك كله لم يظفروا من الإلمام بالمبادئ الحرة إلا بنصيب هو من قلة المحصول وضآلة الشأن بحيث لا يصلح لأن يكون وحيا للخاطر أو مصدراً للالهام . ولو أن غالبهم يميل إلى المبادئ الحرة ميلاً تقليديا لا يصدر عن خبرة صحيحة أو إدراك سليم . وهم وقد صارت تلك المبادئ التى ينادى دعاتها بوجوب صيانة السلام العالمى ويزعمون أن القضاء على الحرب أمر محبوب ميسور وهى أجنبية عن فطرتهم ، تجدهم ينفرون من الحرب ويشق عليهم أمرها . وهم يبحثون عن أشياء أجل من حياتهم شأنا وأعظم من أنفسهم قدراً يقفون عليها حياتهم وأنفسهم ولكنهم لا يملكون لها طولاً ولا يستطيعون إليها سبيلاً . وهم لم يظفروا من نتاج الأدب وخطب المنابر ومن سياسة الساسة وتشريع البرلمان ومن فلسفة الفلاسفة وعلم العلماء إلا بما هو كالسراب من الماء أو الحصباء التى لا تنفع أقواما يفتقرون حقيقة إلى الخبز . يضاف إلى ذلك كله أن انطباع الحياة بذلك الطابع الآلى المطرد الأسلوب من شأنه أن يفوت عليهم الفرصة فى الانتفاع بجهودهم وتجديد نشاطهم .

(البقية فى العدد القادم)

زكى الطاهر مبارك

صفوة احياء الغزالى

للأستاذ محمود على قراعة المحامى

خلاصة دقيقة وافية لكتاب إحياء علوم الدين للفيلسوف العظيم حجة الاسلام أبى حامد الغزالى ، وعرض حديث وتصوير واضح لآرائه فى الثقافة الروحية فى الاسلام بأسلوب سهل وعبارة بليغة تقرب الامام الغزالى وكتابه إلى القراء وتمكنهم من دراسته وفهم آرائه وأفكاره فهماً تاماً . والكتاب فى ٣٢٠ صفحة على ورق مصقول وثمنه عشرة قروش والبريد ٣ قروش

ويطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد على بمصر

فى مسابقة اللغة العربية — يصدر قريباً كتاب

« من شعر أبى تمام »

ويشمل المقرر فى امتحان الترقية إلى الثانوى فى النصوص من شعر أبى تمام والقصائد الخمس الأولى من الفضليات مضبوطاً ومشروحاً شرحاً وافياً ومعلقاً عليه بقلم :

محمد محمود رضوان

الثمن ١٠ تـ ترسل باسم المؤلف بمدرسة بنى سويف الابتدائية الأميرية